

كسب الرزق وطلب العيش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، لازال بريد الرسائل موصولاً ، معكم بالنصيحة ، لي أولاً ، وخاصة ولكم ثانياً وعمامة ونسأل الله التوفيق والسداد والإخلاص والعمل .

أما بعد: فاتقوا الله أيها الناس، اتقوه في أنفسكم وأهلكم، اتقوه في أعمالكم وأموالكم، اتقوه فيما تأكلون وما تدخرون: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [البقرة:168].

عباد الله، كسب الرزق وطلب العيش شيء مأمور به شرعاً، مندفعاً إليه النفوس طبعاً، فالله قد جعل النهار معاشاً، وجعل للناس فيه سبباً طويلاً. أمرهم بالمشي في منابك الأرض لياكلوا من رزقه. وقرن في كتابه بين المجاهدين في سبيله والذين يضربون في الأرض يبتغون من فضله، يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَاخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَعُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ [المزمل:20]. وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه ((ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)) رواه البخاري [1][1]، ولقد قال بعض السلف: إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الهمة في طلب المعيشة. وفي أخبار عيسى عليه السلام أنه رأى رجلاً فقال: ما تصنع؟ قال: أتعبد. قال: ومن يعولك؟ قال: أخي. قال: وأين أخوك؟ قال: في مزرعة. قال: أخوك أعبد الله منك.

وعندنا - أهل الإسلام - ليست العبادة أن تصفَّ قدميك، وغيرك يسعى في قوتك؛ ولكن ابداً برغيفك فأحرزهما ثم تعبد.

والاستغناء عن الناس - أيها الإخوة - بالكسب الحلال شرفاً عالٍ وعزٌّ منيفٌ. حتى قال الخليفة المحدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إلي من موطن أتسوق فيه لأهلي؛ أبيع وأشتري. ومن ماثور حكم لقمان: يا بني، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته.

إن في طيب المكاسب وصلاح الأموال سلامة الدين، وصون العرض، وجمال الوجه، ومقام العز.

ومن المعلوم - أيها الأحبة - أن المقصود من كل ذلك الكسب الطيب، فالله طيب لا يقبل إلا طيباً، وقد أمر الله به المؤمنين كما أمر به المرسلين؛ فقال عزَّ من قائل: يَا أَيُّهَا الرَّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا [المؤمنون:51] وقال عزَّ شأنه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [البقرة:172].

ومن أعظم ثمار الإيمان طيب القلب، ونزاهة اليد، وسلامة اللسان. والطيبون للطيبات، والطيبات للطيبين. ومن أسمى غايات رسالة محمد أنه يحلُّ الطيبات، ويحرم الخبائث.

وفي القيامة يكون حسن العاقبة للطيبين الَّذِينَ تَتَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [النحل:32]. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي : ((من أكل طيباً وعمل في سنة، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة)) [2][2] . وأخرج أحمد وغيره بأسانيد حسنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي أنه قال: ((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة في طعمة)) [3][3].

إن طلب الحلال وتحريمه أمر واجبٌ وحتماً لازماً، فلن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفق. إن حقاً على كل مسلم ومسلمة أن يتحرى الطيب من الكسب، والنزاهة من العمل؛ ليأكل حلالاً وينفق في حلال. انظروا - رحمكم الله - إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يجيئه غلامه بشيء فيأكله فيقول الغلام: أتدري ما هو؟ تكهنت في الجاهلية لإنسان وما أحسن الكهانة: ولكني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت. فأدخل أبو بكر يده في فمه فقاء كل شيء في بطنه [4] [4]، وفي رواية أنه قال: ((لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالطه الأمعاء)). وشرب عمر لبناً فأعجبه، فقال للذي سقاه: من أين لك هذا؟ قال: مررت بباب الصدقة وهم على ماء، فأخذت من ألبانها، فأدخل عمر يده فاستقاه. وتوصي بعض الصالحات زوجها وتقول: يا هذا اتق الله في رزقنا فإننا نصبر على الجوع، ولا نصبر على النار.

أولئك هم الصالحون يُخرجون الحرام والمشتبه من أجوافهم، وقد دخل عليهم من غير علمهم. وخالفت من بعدهم خلوف يعمدون إلى الحرام ليملاؤا به بطونهم وبطون أهليهم. أيها المسلمون، أرايتم الرجل الذي ذكره النبي: ((يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء؛ يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك)) [5] . لقد استجمع هذا الرجل من صفات الذل والمسكنة والحاجة والفاقة ما يدعو إلى رثاء حاله، ويؤكد شدة افتقاره، تقطعت به السبل، وطال عليه المسير، وتغربت به الديار، وتربت يداه، واشعث رأسه، واغبرت قدماه، ولكنه قد قطع صلته بربه، وحرّم نفسه من مدد مولاه، فحيل بين دعائه والقبول. أكل من حرام، واكتسى من حرام، ونبت لحمه من حرام، فردت يداه خائبتين. بربكم ماذا يبقى للعبد إذا انقطعت صلته بربه، وحُجِب دعاؤه، وحيل بينه وبين الرحمة؟! لمثل هذا قال بعض السلف: لو قُمت في العبادة قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك. وإن العجب كل العجب - أيها الأخوة - ممن يحتمي من الحلال مخافة المرض ولا يحتمي من الحرام مخافة النار.

عباد الله، إن أكل الحرام يُعمي البصيرة، ويوهن الدين، ويقسي القلب، ويُظلم الفكر، ويُفقد الجوارح عن الطاعات، ويوقع في حبال الدنيا وغوائلها، ويحجب الدعاء، ولا يتقبل الله إلا من المتقين.

إن للمكاسب المحرمة آثاراً سيئة على الفرد والجماعة؛ تُنزع البركات، وتفشو العاهات، وتحل الكوارث. أزمات مالية مستحكمة، وبطالة متفشية، وتظالم وشحناء.

أيها المسلمون، ويل للذين يتغذون بالحرام، ويربون أولادهم وأهليهم على الحرام، إنهم كشارب ماء البحر كلما ازدادوا شرباً ازدادوا عطشاً، شاربون شرب الهيم، لا يقتعون بقليل، ولا يغنيهم كثير. يستمرنون الحرام، ويسلكون المسالك المعوجة؛ رباً وقماراً، وغصباً وسرقةً، تطفيفاً في الكيل والوزن والذرع، كتمّ للعيوب، سحرٍ وتنجيمٍ وشعوذة، أكلٌ لأموال اليتامى والقاصرين، أيمان فاجرة، لهو وملاه، مكرٌ وخديعة، زور وخيانة، مسالك معوجة، وطرق مظلمة، في الحديث الصحيح عند البخاري والنسائي: ((يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام)) [6] [6]. زاد رزين: ((فإن ذلك لا تجاب لهم دعوة)) [7] [7].

أيها العمال والموظفون، أيها التجار والصناع، أيها السماسرة والمقاولون أيها المسلمون والمسلمات، حقّ عليكم تحري الحلال والبعد عن المشتبه، احفظوا حقوق الناس، أنجزوا أعمالهم، أوفوا بالعقود والعهود، اجتنبوا الغش والتدليس، والمماطلة والتأخير، اتقوا الله جميعاً، فالحلال هنيء مريء، ينبير القلوب، وتنشط به الجوارح، وتصلح به الأحوال، وتصحّ به الأجسام، ويستجاب معه الدعاء.

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم ولا تجعل
الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، ونسألك اللهم الغنيمة من كل بر،
والسلامة من كل إثم، وبارك لنا فيما رزقتنا، وقنا عذاب النار، استجب اللهم يا ربنا دعاءنا.